كتاب سياسي للعبرة والتاريخ

عثرنا على صورة هذا الكتاب الذي أرسله السيد محمد الادريسي
(الى الامام يحيى حميد الدين)
بتاريخ ١٦ ربيع الأول الأنور سنة ١٣٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الادريسي الى جناب المولى ، الذي هو بالمحامد أولى ، (١) الامام يحيى حميد الدين أشرق الله شموس سعده ، وأعلى مراتبه على سنن جده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد تقديم تحيات بين يدي جوى هذه السطور ، تهديها اليكم نسمات الوداد ونفحات الاخلاص على أطباق النور ، فقد وردت كتبكم الكرام آخرها مامور بمعية السادة الاجلاء العلماء الاعلام ، السيد العلامة صفي الاسلام الصفو أحمد بن يحيى ابن قاسم عامر ، والصفو العلامة العزي محمد بن علي بن أحمد بن حسين الذاري ، والصفو العلامة الوجيه عبد العزيز بن يحيى بن المتوكل ، والصفو العلامة العزي محمد بن محمد الشرعي المخرلي ، وقد سرنا وصولهم وشرفنا قدومهم والشرح البال من لطائف علومهم ، وظرائف فهومهم ، وتذاكرنا في أبحاث شتى .

اما مادة الصلح بيننا وبين الحكومة فمن أول يوم وما ندعو اليه هو الوفاق ، وكلما أرادوا عقد ذلك نفعنوه وكفى بما كان في هذه المدة

(١) حذف من هذا المكان ما أعتيد من الالقاب والسجع

الاخيرة ، فان المذاكرة حصلت بيننا وبينهم في هذا الموضوع ثلاث مرات بل اربع (مرات) بعد وصول رسلهم الينا فاذا أجبنا بما فيه الوفاق أعرضوا تيهاً وكبراً واحتقاراً لنا

فأولى المرات بواسطة محمد توفيق (١) في مجيئه الاخير فأجبناهم ذاكرين مواد بسيطة لأن في ذلك الوقت لم يكن قد وقع بيننا وبينهم سفك دماء. وتلك المواد هي أن نكون في جهاتنا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، ضابطين للبلاد من الفساد ، مع بقاء مراكزهم ، واليهم تساق الحاصلات ، وعليهم القيام بما يلزم من معاش القضاة والمترددين في مصالح البريات ، وان يبقوا (جازان) برتبة المعتاد ، وان لايحدثوا زيادة من القوة في البلاد ، وان يفك أمير مكة صالح بن حسن وصاحبه من الحجاج ، وان

(١) هو الشيخ محمد توفيق الأرنؤطي الأصل المعدود من علماء الترك مجاور في الازهر وعرف السيد الادريسي فيه وقد أرسله اليه الاتحاديون بعد الدستور غير مرة ليكشف لهم حقيقة أمره ، وقد كنت مرة في ناديهم الشهير (بنور عثمانية في الآستانة) حين جاءهم أول كتاب منه فأخبروني أنه أثنى عليه فيما كتبه ووصفه بالاخلاص للدولة ولمقام الخلافة وانه لايريد الا ارشاد الناس لما فيه صلاحهم في دينهم وطاعتهم للدولة . فذكرت هذا الكلام للصدر الاعظم حسين حلمي باشا : فقال الشيخ توفيق رجل بسيط ساذج الخ ولم أسمع يومئذ من رجال الجمعية مثلما سمعت من الصدر من الارتياب وسوء الظن . وقد اجتمعت بعد ذلك بالشيخ توفيق في الآستانة ثم في مصر بعد عودته المرة الثانية من اليمن وكانت الحكومة قد اظهرت العداوة للادريسي وآذنته بالحرب فسألته عنه فقال :انه على ماعهدت من قبل من الاستقامة والاخلاص ولكن الحكومة اعرف بسياستها . أو ماهذا معناه . وقد رأيت بعض اخواننا العرب في مصر يطعنون في الادريسي فعارضتهم وذكرت لهم ما سمعته وما رأيته من بعض كتبه لأهله في السودان الناطقة باخلاصه للدولة حتى اضطره الاتحاديون بضغطهم الى ما كان من المقاومة .. فاقتنعوا

توسط فيما بينكم وبينهم من الصلح . وهذه المواد مما يشغلك منها لانها بساطتها لا تكاد ان تكون مطالب . ولكن أدانا الى ذلك حب الراحة للبلاد والعباد .

فما كان الجواب الا بنقيض ذلك فساقوا تلك القوة التي يقدمها محمد راغب بك ومحمد علي باشا في جازان ، وملأوه بالآلاف وازدادوا عدواناً على طلب الحجاج لحبسهم كما وقع في حبس بعض رجال (الميمة) في حج هذا العام . وأشعروا ان السيوفي تابع لامارة حسين بن عون (١) وأرسلوا الينا بطريق مصر في حين وصول القوة العامة يوفق عزت (٢) الى ان أردت السلامة افتتح لهم الطريق الى الامام التي تمر على طرف البلاد التي بيدنا ، ففوضنا الامور الى الله واستعنا به في مدافعتهم وبحمد الله قد كان ما كان

ثاني المرات بواسطتكم عند ماوصل اليكم عزيز (٣) ووافقناكم فكان منهم الجواب بالتعليق على ماهو في حكم المستحيل وهو اجابتنا لحضور الاستانة . وقد تحقق لكم من هذا نهاية الاعراض ، مع انكم قد بذلتم الجهد كما أخبر عزيز عند وصوله مصر لبعض أصدقائنا بذلك ، وبما كررتموه من المراجعة فيما هنالك ، ومنهم عزت وأخذ في تجهيز نحو تسعة وثلاثين طابورا الى ان حال بيننا وبينهم الله بما تداركنا به من رحمته

(١) أي جعلوا بلاد عسير تابعة لأمير مكة الشريف حسين بن عون (٢) هو عزت باشا القائد الاخير لحملة اليمن وهو الآن القائد العام لجيش الدولة في طرابلسة بجوار الآستانة لمدافعة البلقانيين عنها (٣) هو عزيز بك علي المصري الذي كان واسطة الصلح بين الامام وعزت باشا في اليمن وهو الآن أمير العرب وقائدهم في في قطر بنغازي بجاهد ايطالية

فنكشف عنا الغمة ونجانا كما هو سنته مع عباده المؤمنين ، وعكس عليهم القضية وسلط عليهم عبادًا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا .

ثالثها كان بواسطة السيد الشراعي مع بعض اخواننا فأجبنا فكان الجواب منهم بالسكوت .

رابعها مع سليمان متصرف عسير لما أتانا جوابه [1] بعد أن قامت عليهم فتنة الطليان يدعونا فيه الى الوفاق ، وان نحكمهم اخواننا ونهجر الشقاق ، فأجبنا عليه بالترحيب والتسهيل ، فارسلنا بعض مخلص أصحابنا الى ان وصل بقرب معسكرهم وخاطبه بحضوره لاجل المذاكرة فيما يجمع الشأن فكان يماطل الى ان تمكن من أرزاق ومعاش لأنه في ذلك الوقت كان عادمًا فلما رأى انه استغنى تكبر وأجاب بالغلظة وأعداد الطوابير الحافلة للمحاقين فرجع صاحبنا بذلك

ثم في هذه المدة مع مارأيناه من قتل الطليان بهم أخذنا العطف فامسكنا كل حركة ، وكتبنا لمن في مفرزة (ميدي) [2] ان دهمكم شيء فلكم مناصرون . فكان منهم أن محمد علي [3] مر بطريق القنفذة وليته لما مر قصر اشتغاله بمصالحة العسكر بل أخذ يحرق ماوجد في طريقه من بيوت

(١) قد وقفنا على كتاب سليمان باشا هذا للسيد وجواب السيد له وسننشرها بعد (٢) ميدي قمر من ثغور عسير بين الحديدة وجيزان او مابزان وفيه قلعة عسكرية وهو الآن من الثغور التي بيد السيد وقد عثرنا على كتاب من القومندان التركي الذي عرض السيد عليه المساعدة على ايطالية (٣) هو محمد علي باشا الذي كان والي اليمن وقائدها العام

السادات العلماء لان هذا الرجل أكبر عداوته لاهل الدين لان ما ناله من الشرف في الآستانة (كان) باسباب شغله العالم في اعلاء أيام تنازع وقع بين المسلمين والنصارى هناك . ولما قدم جازان بالعساكر لم يختر لهم (خمسة خانه) الا جوامع تلك البلدة ولا يهمه أن تلوث بالنجاسة وتعطلت اقامة الجمعة فيه

وكأنه يظن أن هذه هي الاسباب في ارتزاقه الياشين والرتب من باب « من رزق من شيء فليلزمه » وهذا هو السبب في تجهيز ما وجهناه من العساكر الى جهة الشام [1] لاجل مدافعة هذا العليان ، والمحافظة على مراكز أهل الدين والايمان

وقد حصلت المذاكرة بيننا وبين هؤلاء الاخوان في هذه الاحوال الى أن ساق بنا الكلام الى مفرزة (ميدي) وأخبرناهم ان الطليان قد ضربت قلاع الدولة ومراكزها من باب المندب الى جدة ، وهدد تلك الحصون بمدافعه المسلطة ولم يبق الا هذه القلعة مع ان شيخ البلدة التي فيها قد سبقت له جناية مع الطليان بواسطة شهادة سبنوك طال الخلاف بين الترك والطليان فيه وتوقف الامر على شهادة هذا الشيخ وتهددته الدولة بالشهادة لما تشهد . فاذا قصد الطليان هذه المفرزة لا يقتصر عليها بل يتعداها الى تلك البلد لما جناه شيخها عليهم وسابقاً قد ضربوا هذه البلدة كما قد عرفته

ومن المشاهد ان هذه العساكر بجملة من في كل موضع اذا ضرب الطليان المواقع هربوا من مواقعهم تلك الى محلات العامة ولم يدافعوا ولا يضرب مدفع واحد ، وقد ضربت هذه القلعة من نحو شهر وخرجوا

(١) هي الحدود الشمالية لعسير يسمونها جهة الشام

منها كما ذكرنا ، وهذا مما أوقع الناس في العجب ، فان الدولة اذا عجزت عن اصلاح الداخلية كان يرجى منها حفظ الخارجية ، والقيام بالمدافعة عن الرعايا عن قصدهم بسوء ، فعجزت الدولة الآن عن هذا وهذا فما بقي لهم الا أن يسموا الناس بحسن الخلق لو كانوا يعقلون

ثم انه قد اشتد الطلب من الطليان بعساكرهم للحديدة الى حالة يخشى معها أن تحتل الحديدة فتكلمنا مع العسكر الذين في القلعة بأن يقاوموا بها ضروره على الاسلام والمسلمين لأن الحديدة اذا احتلت يتبعها ملحقاتها ومن ذلك هذه القلعة ، ومن المعلوم حسب أصولهم أنه اذا احتلت الحديدة وجاء المحتلون بوابيرهم لاستلام هذه النقطة تبعاً للمركز ومعهم الاذن بالتسليم من كبراء الترك فان من في هذه النقطة لا يلتفت الى الاسلام ولا الى المسلمين ولا يهتمون بأمر الوطن بل حالا يعملون الترتيب اللازم في التسليم الى المحتلين ولو بطريق الحرب مع أهل الوطن بأن يضربوا من القلاع وتضرب البوابير من الساحل حتى يتصلوا بالمحتلين ويدفعوا لهم موقع الحرب ، ويسلموا أهل الوطن الى الاسر كما فعلوا في بني غازي احدى متصرفيات طرابلس ، فان أهلها عشية احتلال الطليان لما رأوا بوابير الطليان بالساحل أسرعوا الى مركز الحكومة ليستعدوا للقتال ويودعوا أهاليهم وأموالهم في محل مكين ، فمنعهم الاتراك وألزموهم الطمأنينة فرجعوا الى بيوتهم ، فلما جن الليل لم يشعروا الا والمتصرفية باجمعها صارت عساكر طليانية فقاموا للدفاع ولم يمكن الخروج من المنازل الا للرجال دون النساء والذرية ، وهم الآن تحت قبضة الطليان . واشتهر ان هذه المعاملة من

الساكر بأسباب ما أخذه كبراؤهم من الطليان خفية . وبأسباب ذلك استقال الصدر فتبين ان بقاءهم حينئذ في المواقع الحربية لا للدفاع وحماية الثغور كما هو اللازم لمن يتولى امارة المسلمين بل للاغراض الثانية ، وبيع البلاد للمصلحة الشخصية ، فمن يبع الاسلام فليبعه من الترك ، ومن يبع الدين فليبعه بما لهم من اخلاق الافك ، فلما خاطبناهم في النزول معنا ليقوا مع العساكر العربية جنبا بجنب حتى اذا احتلت الحديدة يكون موقع المقرزة الميدية بأيدي المسلمين يؤدون فيه ما أوجب الله عليهم وان امتنعوا فلا الزام . وان أرادوا اللحاق بكبرائهم فلهم ذلك . فأبوا هذا وهذا « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

والعجب من هؤلاء الناس يذكرون انا السبب في تركهم للمدافعة كما روي عنهم السادة الواصلون فليت شعري من أي وجه ؟ وأي قرب بيننا وبينهم في المسافة أن يقولوا نخشى أن نصل بنازين اذ في الاقل بيننا وبين الحديدة ثمانية أيام ولو سلم هذا فما يكون جوابهم في احتلال الطليان لطرابلس ؟ وما المانع من المدافعة هناك مع أن أهل تلك الجهة من المخلصين للحكومة بل هم قائمون بالقتال للمحتلين من الآن ، ومن العجائب

ان الحكومة قبل أن يحتل العثمانيون رفعت الاسلحة والوالي والعسكر الا شيئاً قليلا وبعد ذلك لم تمد المجاهدين ولا بدرهم أو نفر . وفي عهدي انا عرفناكم سابقاً ان في صبح ليلة خروج الاتراك من جازان وفي اليوم الذي بعده جاءت بوسطة بطريق البحر فوقعت بيد المجاهدين فاذا بعض رسائلها يحتوي ترجمتها على اعلان حرب ايطاليا لهم وانه يلزم مأمورهم هنا العناية برعايا الايطاليين وحفظهم ، فتعجبنا من حسن معاملتهم ، هذا لمن

ناوؤهم بالعداء الاكبر واذا حصل منا معاشر المسلمين أدنى شيء سهم ثابت القيامة . وبينما نحن في هذا الموضوع اذ ورد منكم كتاب كريم ، فتلقيناه بالترحيب والتكريم ، وسنوفي كل بحث مما أشرتم اليه حقه ان شاء الله

فأما ما أشرتم اليه من قولكم (والدولة العثمانية وان كان أمراؤها كما عرفتم فانه عند الشدائد تذهب الاحقاد الى ان قلتم أما ما كان سابقا مما ذكرتم من تباعد العثمانية عن الصلاح فانه لا يغرنا الآن الانصاف)

وقد أنصف الغارات من راماها . فلا يخفاكم أي حقد عندنا ولما جاء في كتاب سليمان (باشا) يجنح الى السلم في وقت قيام الطليان واقتضت وأجبت بما صدرت اليكم صورته وأرسلت من أخصاء اخواننا من يقوم بعمل هذه المشاكل كما قد أشرنا لكم في أول الجواب ولم نلتفت الى ما سبق منهم من الايعاد بأنواع المهالك حتى بشق بطون الحوامل فلما جاء جواب سليمان لذلك الاخ (يعني مندوبه) بالتهديد واعداد الطوابير للتربية تعجبنا من ذلك وما زلنا نتوقف عن عمل أي حركة رجاء أن يهتدوا الى الصواب فما كان بعد ذلك الا مرور محمد علي (باشا) في شهر ذي الحجة يحرق بيوت السادات والعلماء وأفاضل الناس كما قد ذكرنا لكم أول الكتاب . فيا ليت شعري ما نصنع بعد هذا وهل فيه انصاف أعظم من هذا الانصاف حتى من كان لنا بالامس عدوا لدودا أصبحنا نتقرب اليه بالمودة لا لشيء * بل كان حباً للصلاح مزيدا * وهل من العقل بعد ذلك لنا ان نرمي بانفسنا اليه ولو على المهالك ؟ وهل هذا من الدين ؟ كلا وأصدق القائلين يقول (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)

ثم ان ما أشرتم اليه هو لم يزد عن كونه من قبلكم ولم نجد ما هم عليه

انه لم يرد من كبرائهم وأعيانهم من تحسن المخاطبة معه في ذلك وفي كيفية مواصلة الخطاب الى الاستانة لان ولاية اليمن صارت الآن منقطعة عن الولاية العثمانية للحيلولة بالقوة الايطالية

وأما ما أشرتم اليه (ان لو اقترن مابيننا وبينهم بصلح مابينكم وبينهم) فاعلم أيها الامام اني عند ما أتلو ذلك ، أجد خاطري ينكسر مما هنالك ، لانه حين أرادوا أن يغتنموا الفرصة فيّ وان كنتم جزاكم الله خيرا كردتم التوسط في الصلح لكن لا على طريق الشرطية بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم أوفق فآثرتموهم عليّ مع اني الصاحب القديم ، والخل الذي هو على العهد الى الممات مقيم :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
ومنازل في الارض يألفها الفتى وحنينه أبداً لاول منزل

وأما ماذكرتموه (ان الملل الكفرية كما عرفنا فوقت سهام انتقامها على الدين القويم ، وفعلت بالمسلمين أقبح الافاعيل الى آخر ماشرحتموه) فلا يخفاكم ان هذه الامة قد أخذت هذه الازمان الطويلة وهي في اطمئنان بال ، وسكون الاحوال ، لما كان سلاطين آل عثمان قائمين بحماية الشرع الشريف ، ولا مظهر لهم الا انهم نواب الامة الاسلامية في حقوق دينهم الحنيف ، ولا شك ان أهل الملل المختلفة لا يتجاسرون على هدم هذه السياسة لانها تستدعي الثورة العامة بين المسلمين وغيرهم في جميع الاقطار الشاسعة ولا أضر على الاجانب من هذه الحرب الدينية ، وبها كان يتهددهم السلطان السابق عند المشاكل الدولية ، فيجنحون الى الموافقة ، فلهذا عشنا وعشتم طول النشأة لم نسمع في الخارج بمشاقة ، بل كان في آخر المدة الاخيرة

مارفع الدولة لأعلى مكان حيث ظفرت باليونان، واحتلت عاصمة ملكهم بقوة عظيمة القدر والشان، فلما جاءت هذه النشأة الاخيرة من الاتراك تظاهروا بالمرية ليرضوا أهل الملل الاخرى وأن الاختصاص بدين الاسلام هو منحل فكاك ولهذا سموا أنفسهم بالجامعة العثمانية، ليوحدوا الملل هربا من الجامعة الاسلامية . وقد أرسل جنابكم الينا تلك الرسالة المؤلفة لشيخ الاسلام سري زاده محمد صاحب، ونبهتم عافاكم الله على مافيها من الالحاد وجزاكم الله خيراً بتلك الافادة . فحينئذ حدث أمران: ضيج أهل الاسلام من رغبة الاتراك عنهم، وطمع أهل الملل في الاتراك لنفور الجمعية الاسلامية منهم، فأخذوا في انتهاب البلاد منهم، فاستقلت ولاية البغدان، بعد ان كان ملكهم في زمن السلطان السابق برتبة باوران، وبيعت ولايتا البوسنه والهرسك علنا، وطرابلس خفية، وصدق لفرنسا على تبعية تونس، وحينئذ قامت الاجانب ينار بعضهم من بعض فبدوا أيديهم الى احتلال البلاد العثمانية لهذه الاسباب ولغير العثمانية بطريق أولى كتبريز وفاس كما ذكرتم، مع ان فاس هذه من أعوام قريبة سعى السلطان السابق في استقلالها بواسطة ملك ألمانيا لتحفظ من غوائل الاجانب، فتغيرت في هذه الايام السياسة الاسلامية من اهلها فكان ما كان في مسافة ثلاث سنوات، وهذه الرابعة أقبلت فيها تتداعى الشدائد من كل الجهات، وكل فريق يمد يده الى ماشاء من النواحي المختلفات .

وقد عرفناكم منشأ هذه الاحوال، لتعرفوا من هم السبب في محاق البلاد الاسلامية والاضمحلال، فهم الاحق بالملامة، والتقريع والتوبيخ وسلب الكرامة وياليت شعري ما المراد منا في الرابطة التي أشرتم اليها فان كان لقصد

التسكين المجرد الى ان توافق معهم الامور ثم يثبوا كأن لم يكن بيننا وبينهم صداقة كما كان بالعام الماضي اذ قدمنا لهم عشرة آلاف عود للسلك وأمنا لهم الطرق وتعهدنا لهم بالاصلاح حتى صاروا دولة حقيقية يروحون ويغدون بكل شرف، فما كان منهم الا تدبير الحيلة في الهجوم للقبض علينا فجانا الله وآل الامر الى ما هم فيه من الاهانة والحيرة ولا حول ولا قوة الا بالله .

أولا توافق الامور كما هو المنتظر ان لم يستطعوا خواطر المؤمنين واشتد الحال ان آل الى سقوط البلاد بأيدي الغير يسلمها الاتراك لهم ولا يلزمنا الا قبول ما عملوه وأبرموه فما في هذه الاقامة الحجة علينا من الله ، وما المعذرة في ذلك المقام الالهي. وان كان القصد ان نكون نحن وهم شركاء في المواقع بدون خداع في الحال والاستقبال ، شركاء في الدفاع عن الدين ، شركاء في الرأي حتى نعلم ما يراد بنا ، ونؤدي ما أوجب علينا ربنا ، ولا نكون ألعوبة للاتراك يسلمونا الى الغير متى شاءوا والعياذ بوجه الله بل نكون على أمن من ذلك كله ، فأهلا بالوفاق وسهلا .

وفي الحقيقة الحقيقة ان هو الا رجل قام بتأييد الله في هذه البرية القفراء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة الشريعة التي لا حرز لنا دونها ولا عصمة ، ان كنا ممن يحتفلون بتعاليمها الالهية ويخدمونها

فقامت هذه النشأة الجديدة من الاتراك وحشدوا العساكر المصحوبة بالمدمرات والسيوف البواتر ، وشاع وذاع انه صدرت ارادة سلطانية ، واشارة من لدن الجمعية ، باستئصالنا ، ولا يعلمون ان الامر بيد الله وهو أكرم الاكرمين ، لا يضيع من منّ عليه من بريته ، وكساه

من الايمان بجلال كرامته ، بل ينصره وينتقم من عاداه كما وعد في كتابه العزيز ، وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا . فقال عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) . وقال عز وجل (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) واني والله عند هذه الآيات اعلم من أين أخذت هذه الدولة قساحت عليها الاهوال من كل جانب جملة واحدة على غير أسلوب معروف ، ولا تقدير في الحساب مألوف (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له)

فاجأها القهر الالهي بغتة وانقطعت في مدافعته كل حيلة فسبحان القائل (وما لهم من دونه من وال) . واني والله لاعلم بدواء تلك العلة فهل من سبيل الى ان أكون الطبيب الرباني ، ولا تكاد تلبث هذه الدولة ساعة حتى يشفيها الله في جميع الانحاء لكن ان رجعت سياستها الى الصراط المستقيم الرحماني . وقد ذكرنا للسادة الواصلين تفاصيل الامور وأبدينا لهم مايصلح في المقام واكتفينا ببيانهم عن شرح ذلك هنا لأن الكلام مقامات طويلة ومباحث مختلفة ، كما سيوضحون لكم ، وهم من أفضل عباد الله وله الحمد ان جعل بيننا وبينهم التآلف وخالص الوداد في الله ، ومثلهم يقوم بالبيان وكونوا على يقين ان مافيه صلاح المسلمين والاسلام وحفظ البلاد بدون خداع فانا فيه على رفاق . وكذلك اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من (الشرف) الى (بني جماعة) وقد تجزرت بذلك ورقة بخط السلامة المفضال بدر اللآلي السيد أحمد بن يحيى عامر ، هذا وشريف السلام وأسناه يسكم ومن بالمقام ورحمة الله وبركاته

الامضا

﴿ انتقاد لائحة الاصلاح البيروتية ﴾

(الحقوق التي اعطتها اللائحة للمستشارين الاجانب)

(١) جاء في المادة الرابعة أن اعتراض الوالي على قرارات المجلس العمومي مقيد بمصادقة مجلس المستشارين . وهو قيد لا حاجة اليه لان مجرد اعتراض الوالي على قرار ما لا يقتضي القاءه حتى يقيد فيه بما يمنع استبداده به ، ومن شأن الاعتراض أن ينبني على أحد أمرين اما مخالفة القوانين أو مخالفة المصلحة ، ولو قيدوه بهما لكان أولى حق لا يكثر الاعتراض من الولاة البرداء فيضيع بهـا الوقت . وما دام القول الفصل في الاعتراض للمجلس فالاعتراض اما أن ينفع وإما ألا يضر

(٢) في المادة الخامسة ان لجنة المجلس العمومي تجتمع بادارة مستشار هـذا المجلس ومن حقوقها دعوة المجلس لاجتماع فوق المادة باتفاق ثلثي أعضائها ومصادقة مستشار المجلس . فهذا القيد لا حاجة اليه أيضاً وفيه هضم لحقوق اللجنة عظيم ، فلذا سوغنا أن يكون اجتماعها بادارة المستشار لاتخاذه اماما ومرشـدا لها فيما هو أعلم به منها من وظائفها كلها أو بعضها ، فلم لا يجوز لها الاستقلال بطلب عقد المجلس اذا رأى ثلثا أعضائها الحاجة الى ذلك لامور تتعلق بمصلحة بلادهم يجوز أن لا يعرفها المستشار ؟ ألا يجوز أن تكون المسألة التي يدعونه لاجلها مهمة جدا في نظرهم وأن يكون المستشار هو في عدم اجتماع المجلس لها لان فيها تعارضا بين مصلحة الوطن ومصلحة أبناء جنسه الاوربيين؟ بل ظاهر المصلحة أن لا تجعل له حقا يمكن أن يضر ولا حاجة تدعو اليه أي ليس لنا فيه نفع . على ان القاعدة الاصولية ان دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح

(٣) في الكلام على تعيين الموظفين من المادة السادسة أن طالب الوظيفة يمتحن امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلب الدخول فيها . والظاهر ان الامتحان يكون باللغة العربية ولا تشترط اللائحة أن يكون المستشار عارفاً بها لانهـا سمحت للتركية أو الفرنسية تقوم مقامها ، ثم ماهي مواد الامتحان ولم يشترط في كل مستشار أن يعرف قوانين الدولة فنقول ان الامتحان يكون بموادها

(٤) في الكلام على عزل الموظفين من المادة السادسة أيضاً أن رؤساء الدوائر تكف أيديهم عن العمل بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين ، وأن سائر الموظفين المعينين من قبل الولاية تكف أيديهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها فقط ، وان موظفي الحكومة المركزية يكون عزلهم

يطلب من مجلس المستشارين وبحكم من هذا المجلس . وقد جعلت اللائحة القسمين الاولين من الموظفين الذين تكف يدهم حق مراجعة الوالي في مدة معينة ولكنها أوجبت على الوالي أن يحيل دعوى من يراجعه الى مجلس المستشارين الذين كان كف اليد من قبلهم ليحكم فيها . فهذه حقوق تجعل أمر العزل كله بأيدي المستشارين الذين لا يعرفون لغة البلاد ولا قوانينها ولا يشترط فيهم ذلك ولم يقيدوا بقانون آخر يحكمون به في العزل والايقاف . وهذه سابقة استبدادية خطرة قد تقع على بعض الناس بالقوة القاهرة ، وأغرب الغرائب أن يطلبها بعض الناس لانفسهم ويسمونها اصلاحا وانما طلبها مبني على قاعدة عدم وجود الاكفاء لادارة الحكومة في البلاد ، فكيف يكون حال هؤلاء الموظفين الذين يقل فيهم الكفؤ مع المستشارين الذين بأيديهم أمر رزقهم وهم يذلون الآن لرؤسائهم من الترك خوفاً من العزل الذي لا يقطع الامل من العودة الى الوظيفة أو نيل خير منها ، فكيف يكون ذلهم لمن اذا عزلوهم يحرمون بعزلهم من خدمة حكومتهم طول حياتهم ؟؟

(٥) اغرب كل ما في هذه اللائحة على الاطلاق انها بعد ان جعلت أمر عزل الوطنيين في أيدي الاجانب خيلت بهم عزل أنفسهم أيضا كأن واضعيها يحسبون انهم سيجدون في أوربة من المستشارين والمفتشين ، من يجري على سنة الخلفاء الراشدين ، ونسوا انه لا يعرف في أوربة كلها رجل سياسي رفع صوته بالرضا بالغاء امتياز الاوربي على الشرقي في الحقوق والعقوبات ، بل المعروف عن الكثيرين منهم أنهم لا يرون أمة من أمم الشرق توازي صلوكا اوربيا ، والذي يزيد هذا الامر غرابة أن هؤلاء المستشارين الذين يعدون في تكاثفهم واتحادهم في الشرق كأنهم رجل واحد قد جعلت اللائحة أمر مذنبهم مفوضا الى آرائهم وأهوائهم لا الى قانون يوجب عليهم الحكم بمواد معينة في كل ذنب ، على حين انهم اذا قيدوا بقانون ونيط أمرهم بمجلس تأديب وطني أو مختلط لا تسهل معاقبتهم بما يوجبه ذلك القانون « هذا وما فكيف لو »

*

اقترحت اللائحة في المادة السابعة أن تعين الحكومة المركزية المستشارين من الاجانب للشرطة (الجندرمه) والمالية والبوسطة والتلغراف والجمرك في مركز الولاية ومفتشا عاما منهم لكل لواء — وان يعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للمجلس العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس ولكنها لم تبين أعمالهم ووظائفهم في هذه المصالح وانما بينت في المادة الثالثة

عشرة فنذكرها واحدة واحدة في سلسلة انتقادنا هذا وهي أربعة

(٦) أول وظائف هذا المجلس تقرير مواد النظام الذي تحكم الحكومة المركزية على ان يكون دستورا لحكومة الولاية ومجلسها العمومي، وليست أرى لاعطاء المستشارين هذا الحق وجها الا انه حكم بين الولاية والعاصمة والا فمجلس ادارة الولاية أجدر من المستشارين بفهم هذه القوانين، ولعل حكومة العاصمة ترى حكمه أقرب الى مصلحتها اذا كان مؤلفا من الاعضاء المنتخبين ورؤساء المصالح الذين يعين بعضهم من قبلها وبعضهم من قبل الولاية، على أن إعطاءهم حق هذا التقرير مطلق عام ولهم بذلك مجال واسع للحكم بالرأي والهوى . .

(٧) الوظيفة الثانية لهذا المجلس تقرير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي . وليست أرى لهذه الوظيفة وجها ألبتة ، فاذا اشتبه الوالي أو غيره فيما يضعه المجلس فينبغي أن يراجع المجلس فيه لانه أعلم بما يضع ، ويترتب على إعطاء المستشارين هذا الحق وجوب نقل كل ما يضعه المجلس بلغة البلاد الى اللغة الفرنسية لأنها ستكون هي اللغة التي يعرفها جميع المستشارين حتما ، وقد يكون هذا من مقدمات احتلال فرنسة البلاد

(٨) الوظيفة الثالثة له النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه ، وقد أشرنا الى انتقاده من قبل ونقول هنا : أن الواجب المتعين أن يكون لكل مصلحة مجلس تأديب يتألف من رئيسها وبعض كبار الموظفين فيها ويجوز أن يكون مستشار هاعضوا فيه

(٩) الوظيفة الرابعة له النظر والحكم (بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين) في كل خلاف يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أي دائرة (مصلحة) كانت ويكون حكمه مبرما (!!!) وقد انتقدنا مثل هذه الوظيفة من قبل ونزيد هنا انتقاد جعل حكمه مبرما انتقادا شديدا مؤكدا ، فان هذا الحكم الملهم الذي لا يقبل النقض ولا المعارضة ولا يجوز فيه الاستئناف ، لا يصح أن يعطى الا للمعصوم من الخطاء والمنزه عن الهوى، ولا يعقل أحد وجه الحاجة اليه، ولا كيف يخضع الناس للحاكم من تلقاء أنفسهم

تلك اشارة وجيزة الى ما رأيناه من خطأ هذه اللائحة في موضوع المستشارين ولنا على هذا انتقادات أخرى لا حاجة الى بسطها. ولما كنا جازمين بأن الحكومة المركزية يستحيل ان تقبل هذه اللائحة ولا سيما الوزارة الاتحادية منها التي لا يرضيها الا استبداد العاصمة في المملكة فالواجب على طلاب الاصلاح المخلصين من أهل بيروت ان ينضموا الى حزب اللامركزية الادارية لتكون يد الجميع واحدة ويد الله على الجماعة كما ورد والله الموفق